كتاب

الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانيّة الشويريّة

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس مرکيس
من الرهبانية الشويرية

موت ظاهر العمر وابرهيم الصباغ (١٧٧٥)

وكان احمد بك الجزار قد شكى الى الدولة العلية أخلاق الشيخ ظاهر العمر وعشيرته . لانه كان بعد خروجه من عنده سافر الى القسطنطينية وصادف سبيلاً للقبول . وسعى في الشيخ ظاهر انه ظالم غدار لا ترتاح الرعايا في ولايته . وكان قد تقدم مثل ذلك من محمد بك ابي الذهب . فتحققت السعاية وانعمت الدولة على احمد بك الجزار بولاية صيدا . واعطته فرماناً بعد ذلك . وكان قد بلغها خبر وفاة ابي الذهب . فجهزت حسين باشا قبطان[1] باثني عشر مركباً حربية . وعين يده فرمان الى الشيخ ظاهر العمر باستدعائه الى الطاعة وطلب الاموال السلطانية المكسورة عنده منذ ولايته . فحضر حسين باشا بمراكبه الى يافا . وارسل الفرمان الى الشيخ ظاهر وتعهد له ان اطاع يجعله والياً على ايالة صيدا وعكا .

فعقد الشيخ ظاهر ديواناً وجمع اليه اكابر دولته . واخذوا يتحدثون في ذلك . فمنهم من قال نترك البلد ونتحصن في الجبال . ومنهم من قال نثبت مكاننا ونقاتل . فان ظفرنا فهي الحاجة . والا فالفرار لا يفوت . وقال الشيخ

١) حسن باشا وزير البحر الابيض وهو المسمى في اللغة التركية بالقبوذان (تاريخ الامير حيدر) . وقوله حسين غلطة نسخ ولا شك لان هناك شخصاً آخر اسمه حسين باشا سيأتي ذكره .

ظاهر : انا رجل قد شخت في خدمة الدولة . فاريد ان اقضي بقيـة ايامي في الراحة . ولا طاقة لي على القتال والتقلب في مهماته . وكان في ديوانه احمد آغا الدنكرلي . فقال : اصبت يا مولاي . ان غضب الدولة بلاء عظيم ورضاهـا غنيمة . والمال الذي تدفعه هو من نعم الدولة واليها يعود بالحق . وانت تستخلف من رضاها اضعاف ما ترد عليها من بالها . وكان عند الشيخ ظاهر رجل من من نصارى عكا يقال له ابرهيم الصباغ وكان متسلماً امور الشيخ ظاهر باسرها . حتى اولاده ونساءه . وكان الشيخ ظاهر لا يقضي امراً جلّ او قلّ ، الا برأي هذا الرجل . فقال ابرهيم : يا مولاي . ليس عندنا مال يفي ما علينا للدولة . . والدولة لا ترضى منا ، ولو دفعنا ما فوق حقهـا . فقال احمد آغا الدنكرلي : يا ابرهيم . اعطني مئة الف غرش ، وانا امضي بها الى حسين باشا قبطان وارضيه بها ، وآتيك بالعفو والامان والولاية على كل ما كان في ايدينا . فقال ابرهيم : ليس عندنا ألا سيوف ورماح . فليفعل حسن باشا ما شاء . والله المستعان وخرج ابرهيم من الديوان . وانفضّ المجلس على هذه الحال .

فحنق احمد آغا الدنكرلي من ذلك ، وكان رئيس المغاربة ، وهم ضباط الابراج والاسوار . فاجتمع بهم وحدثهم بما كان . وامرهم ان يبدوا افواه المدافع ، فلا يطلقوا منها شيئاً ، ولا يدعوا احداً يطلقها عند الحاجة . وارسل الشيخ ظاهر اولاده الى خارج المدينة ، ليجمعوا ذخائر للحصار ورجالاً للقتال .

واما حسن باشا قبطان . فلما ابطأ عليه الجواب . علم ان الشيخ ظاهر اراد العصاوة . فاقبل نحو عكا بالمراكب ورماهـا بالكلل والقنابل . فثار الشيخ . وامر المغاربة باطلاق المدافع عليه . فقالوا نحن لا نحارب عساكر السلطان . وحاصروا في الابراج . فلم يمكنوا احداً من الدخول اليها . وكان احمد آغا الدنكرلي قد ارسل الى حسن باشا يعلمه بما كان . فاشتد عزمه . واستأمن في الهجوم على البلد . واخذت ابنية عكا تتهدم . وحجارتها تطير . فضاق صدر الشيخ ظاهر . ولم يجد له سبيلاً غير الهزيمة . فهرب طالباً الجبال . وبينما هو خارج من احد ابواب المدينة ، رماه احد المغاربة برصاص . فقتـل مكانه . وهرب ابرهيم الصباغ الى الخارج فنجا ونزل عند رجل من مشايخ المتاولة ، يقال له الشيخ علي درويش . ودخل حسن باشا الى المدينة . ولم يتعرض

الطبيب الأثر

الأب مبارك المسيح الراهب اللبناني (١٨٥٢-١٩٢٢)

وسلمه حسن باشا قبطان مدينة عكا . وتوجه بالمراكب الى بيروت . وكان الامير يوسف وبنو عمه قد رحلوا منها الى الجبل فارسل الى الامير يوسف يطلب منه الاموال السلطانية المكسورة عنده عن ست سنوات . من حين ما تولى الشيخ ظاهر العمر على صيدا . فاجاب الامير يوسف انه في هذه السنين صرف اموالاً كثيرة على العساكر في قتال الشيخ ظاهر والمتاولة . وانه دفع الى عثمان باشا واولاده بقية الاموال المكسورة. وزور وصولات في ذلك وارسلها اليه مع كتابات لطيفة وهدايا فاخرة . وسأله ان يكف احمد باشا الجزار عن التعدي عليه . فصار ذلك مقبولاً عند حسن باشا . وارسل الى الامير يوسف كتاب الرضى والامان وطلب منه ان يرسل اليه مئة الف قرش فقط ، ليكي يرسل اليه وصل الخلاص ، ويقرره على ولايته . فجهز له الامير يوسف المطلوب وارسله اليه . فتسلمه وارسل اليه التقرير على حكم بلاد الشوف والبقاع وبيروت وجبيل . وان لا يكون لاحمد باشا الجزار سلطة عليه الا في ايراد الاموال السلطانية لا غير . ثم توجه حسن باشا راجعاً الى عكا . وفي وصوله امر بقتل احمد آغا الدنكزلي متهماً اياه بعدم المحافظة[1] . وكان ذلك وفاء عن سعيه المذكور في نوبة الشيخ ظاهر العمر . وكان احمد باشا الجزار قد ابتدأ يعين العساكر عنده . فحضر اليه نحو ستمئة خيال قبيس ، فاستخدمهم . واقاموا عنده . وكان بعد رجوع حسن باشا قبطان من بيروت ، ارسل ضبط مداخيليا . وارسل الى الامير يوسف يطلب منه المال السلطاني عن تلك السنة . وارسل خيل القبيس الى بيروت . ولما بلغ الامير يوسف مسير عسكر الجزار من

---

١) ثم رفع حسن باشا رأسه قليلاً والتفت الى الدنكزلي وقال له : من اي بلاد من المغرب انت ؟ – قال له من ناهرت . – فقال له : وما كانت صنعتك هناك ؟ قال له : كنت حطاباً بغابي . – قال له حسن باشا : وكم سنة صار لك في خدمة ظاهر ؟ اجابه : ما يزيد عن اربعين سنة . – قال له الباشا كم كان دخلك منه ؟ – اجاب الدنكزلي : كان دخلي في اول سني خدمتي عنده قليلاً . ولكن لم يكن يقل عن مئتي كيس في ولاياتي . . . فقال له حسن باشا : تأكل خبز انسان اربعين سنة ودخلك منه هذا المقدار وتخضب سيفك بدمه ! ينتقم الله مني اذا كنت لا انتقم منك لظاهر . – ثم امر من كان في حضرته من ملازميه فاخذوا الدنكزلي فخنقوه ورموه في البحر . فكان هذا اليسر جزاء خيانته لمولاه . (تاريخ ظاهر العمر) .

عكا ارسل المشايخ النكدية حتى لم يكون طريق السعديات . فاكنوا بين الصخور فوق ذلك الطريق حتى وصل العسكر . فثاروا عليه . وانتشب بينهم القتال . وكانوا يظنون ان الخيل لا تقدر ان تصل اليهم امر المكان. فهجمت القبسيس الى بين تلك الصخور. واستظهرت عليهم . فقتلت منهم جماعة . وقتل الشيخ ابو فاعور نكد . وقبضوا على ولده الشيخ محمود وعلى الشيخ واكد ابن الشيخ كليب . وتركوا اخاه الشيخ بشير مجروحاً بين حي وميت. واغتنموا خيلهم وسلاحهم . ورجعوا الى صيدا بالاسيرين المذكورين . فسجنهما المتسلم في القلعة. وكان ذلك في شهر آب. وهذه اول موقعة حصلت بين الجزار واهل البلاد.

ولما بلغ الامير يوسف ذلك استطار فؤاده وارسل الى حسن باشا ان الجزار ابتدأ بالمطاولة على بلاده . وانه ارسل عسكراً فغار على اطراف البلاد وقتل ونهب واستأسر . وان ذلك انتقاماً منه عن ايراد المال الى حسن باشا. وكان حسن باشا يكره الجزار . لانه تولى ايالة صيدا عن غير يده . فاستدعى اليه الجزار . وزجره . فاعتذر اليه . وارسل حسن باشا الى الامير يوسف يعده انه متى رجع الى الباب العالي ينزل الجزار عن ايالة صيدا . وبعد ذلك سافر الى القسطنطينية . واخذ تلك الاموال التي ضبطها من عكا . وتمرد الجزار واعتز بعد مسيره . وعزم على مطاوعة الامير يوسف وتمهيد بلاده .

وفي سنة ١١٩١ (١٧٧٧) ارسل الامير يوسف الى احمد باشا الجزار يسأله اطلاق المشايخ النكديين المسجونين في قلعة صيدا . فسمح باطلاقهم تحت ايراد مبلغ مئة الف غرش . وارسل في تحصيل المال مصطفى آغا ابن قرامللا ومعه اربعمئة خيال قبسيس . فاحتجب الامير يوسف وارباب دولتهم من حضورهم . ولمحوا ان مرادهم قتل الامير يوسف وامتلاك الدير . لانهم رأوا نقباً قد احدثوه في المكان الذي ينزلون فيه ، آخذاً نحو دار الامير يوسف . فاحتجب الامير يوسف عنهم وامر رجاله ان يلازموا سلاحهم . واشار الشيخ عبد السلام العماد ان يوزع الامير يوسف ذلك المطلوب على اهل البلاد . ويرسل جماعة مصطفى آغا في تحصيله ويرسل الى اهل البلاد سراً ان كل من عنده واحد منهم يقتله. فيكفي الامير يوسف شرهم على احسن سبيل . ويكون ذلك بمشاركة اهل البلاد جميعاً فلا يتخلى احد منهم عن معاضدة الامير يوسف .

فرأى الامير يوسف والاكثرون ذلك صواباً . ولم يرضَ بذلك الشيخ كليب نكد خوفاً على المسجونين منهم في صيدا . فتكلم الامير يوسف مع مصطفى آغا ان يصرف العسكر الذي معه . ويبقى بانفار منه على تحصيل المال . وكان مصطفى آغا قد رأى انه لا يقدر على قتل الامير يوسف . فاجابه الى ذلك . وكان الامير يوسف قد وزع ذلك المال على مناصب البلاد . وارسل في ذلك حوالات ومباشرين . فانكر امراء المتن ذلك وطردوا الحوالات من عندهم . فعظم ذلك على الامير يوسف . وعزم على قصاصهم . وارسل مصطفى آغا الى حرش بيروت لاجل قصاص الامراء المذكورين في املاكهم التي لهم في تلك الاطراف . وكان مصطفى آغا قد اصرف جماعته في صيدا . فاستحضرهم الى هناك . وصار العسكر يصعد الى اطراف المتن ينهب ويحرق ويعود الى الحرش . فاحرقوا قرية المكلس والدكوانة والجديدة . واتصلوا الى انطلياس . فنهبوا ما وجدوه في الدير والقرية . واستاقوا مواشي كثيرة . وصادفوا ناساً من الرعايا . فقبضوا عليهم . واحضروهم الى مصطفى آغا . فارسلهم الى صيدا . وبينما هم في الطريق اعترضهم المشايخ النكدية . فتركوا الاسرى واطلقوهم . وهرب الذين كانوا معهم من رجال الدولة . وكان الامير يوسف قد اتفق مع امراء المتن خوفاً من غلبة الجزار على البلاد عند انقسامها . وبلغ مصطفى قراملا ذلك . وعلم بمعارضة المشايخ النكدية لاتباعه وفكهم المرابيط . فركب بعسكره . وكبس قرية الشويفات فلم يقدر عليها . فقتل من عسكره جماعة . وعلم انه لا يقدر على البلاد من هذه الجهة . فرجع الى صيدا . وعرض على احمد باشا الجزار ان الامير يوسف قد اتفق مع اهل البلاد على العصاوة . فاضاف اليه عسكراً ، وتوجه به الى اراضي البقاع . فاخذ يضبط غلال اهل البلاد التي هناك . ويتطاول على الناس . فهربوا من وجهه . وجمع الامير يوسف عسكراً وارسله لقتاله . فحدث بينهم مواقع كثيرة والنصرة لعسكر الامير يوسف . وكان الجزار لا يفتر عن امداد عساكره بالرجال والذخائر . وحدث بين العسكرين موقعة عظيمة في مكسة . فاحاطت الدولة بعساكر البلاد . وظفروا به . وقتلوا منه خلقاً كثيراً . وقتل في ذلك اليوم الشيخ سيد احمد العماد والشيخ ظاهر عبد الملك . ولو لم تأتهم النجدة من البلاد لما بقي منهم احد .

ثم توجه مصطفى الى وكيس مدينة عليك فنشبت هناك . وقبض على الامير محمد الحرفوش . والبعض من اعيان البلد ومشايخها . وحبسهم . واخذ منهم مالاً جزيلاً . ثم كبس قرية سعدنايل . ونهب مواشيها . وقتل من قاومه من اهلها .

احراق زحلة

وفي تاسع عشر تموز كبس زحلة . واضطربت الناس . وهاجت . وهرب اكثرهم الى الدير الذي بها وما فوقه من الجبل . وتحصن بعضهم في الدير[1] . ووقع القتال بينهم وبين الدولة . فقتلوا منها اناساً قلائل . وكسروها فرجعت نحو البلد . ونهبت شيئاً وانهزمت . وحضر بعد ذلك بعض من الامراء والمشايخ من الجبل برجال . فجدد عسكر الدولة وكبة ثانية على زحلة . وكان ذلك في سابع شهر آب . ولما وصلوا الى البلد هرب عسكر البلاد من غير قتال . وقيل ذلك كان لخيانة فيه . فطمع عسكر الدولة . وهجم بسيوفه فادرك البعض من اهل البلد ومن عسكر الجبل . فانتشب بينهم القتال . وبينما هم يقتتلون وصل الامير مصطفى الحرفوش ومعه رجال قلائل . فصادم الدولة وقاتلها . وصار بذلك فرصة للناس ان تنهزم . فانهزموا . وثبت الامير مصطفى . فكانت الدولة راجعة الى القرية فاحرقتها بالنار . واحرقت الدير وكل ما فيه . وسميت هذه السنة سنة ابن قراملا الى يومنا هذا . واعتز هذا الرجل وتمرد . وحدثته نفسه ان يقتل الجزار ويتولى مكانه . واتفق على ذلك مع عبدالله آغا وغيره من قواد العساكر . وبلغ ذلك الجزار فاحتسب . وارسل قطع خرج ابن قراملا . فرجع الى حيث منشأه ومقامه . وهناك حدثت فتنة بينه وبين بني عمه فقتلوه وارتاحت الناس من شره .

ابن قراملا

وكان هذا الرجل ظالماً غداراً . سفاكاً للدماء . بطلاً في الحرب لا يطاق .

---

١) هو دير مار الياس التي للرهبانية الباسيلية الشويرية . بنته نحو سنة ١٧١٠ على الكتف الشمالية الغربية من البلدة . وكانت زحلة اذ ذاك ' قرية صغيرة وعلى اثر بنائه لجأ الى جواره كثير من السكان . فكانوا يعملون في ارزاقه . وكان كثير منهم من رأس بعلبك قسي الحي الذي قطنوه حي الراسية الى اليوم . واخذت زحلة تنمو وتتسع منذ ذاك . وكان الدير مدى تاريخه ملجأ ومحمى السكان . وتحمل كثيراً من الكوارث والاضرار من مثل هذه المذكورة في المتن .

وكان مغرماً بالصيد ولعب الخيل . وكان فارساً عظيماً . وقيل انه كان ينزل الى الميدان في دير القمر ويرمي الجريدة من نصف الميدان نحو الشرق فتمرّ من فوق السراي. ونحو الغرب فتمر من فوق المأذنة. وكان طويل القامة رقيق الجسم اصفر اللون بلحية سوداء صغيرة . وكان له من العمر خمسة وعشرون سنة لا غير .

اغتيال الشيخ علي الظاهر

وفي هذه السنة توفي الامير حيدر الحرفوش في مدينة بعلبك . وتولى مكانه اخوه الامير مصطفى . وكان الامير حيدر شجاعاً حكيماً كريماً حسن السيرة .

وفي هذا العهد كان احمد باشا الجزار لم يزل يتقصد قتل الشيخ علي ابن الشيخ ظاهر العمر . وبذل جهده في ذلك . وارسل اليه العساكر مراراً ولم يقدر عليه . غير انه ظفر بولديه الحسن والحسين فقتلهما . وضاق صدر الشيخ من عداوة الجزار . فالتجأ الى جبل الشوف . ونزل في قرية نيحا . فلم يقبله الامير يوسف خوفاً من الجزار . فرجع واقام في نابلس . وكان من خيالة القبيس التي استنجد بها الجزار في عكا رجل يقال له علي آغا القيصرلي . انفرد عنهم لعداوة كانت بينه وبين عبدالله آغا . واقام عند محمد باشا العظم في دمشق . وكان محمد باشا قد اتهم من طرف الدولة بخيانة الشيخ ظاهر العمر . فاراد ان يبرّئ نفسه . وطلب من علي آغا ان يحتال له على قتل الشيخ علي الظاهر . فكتب علي آغا الى الشيخ علي انه قد غضب من محمد باشا العظم وكره الاقامة عنده . وانه يريد ان يتحول اليه ، ويكون مسعفاً له على مقاومة الجزار . فاجابه الى ذلك . وحضر علي آغا بجماعته . وكان قد اطلع اكابرهم على سره . وما عاهدهم على اشارة تلوح منه فينهضون لحاجته . ولما دخلوا على الشيخ علي رحب بهم واكرمهم . وهو قد امن اليهم لعلمه انهم من انصاره . ولما سنحت الفرصة اشار علي آغا الى اصحابه . فوثبوا على الشيخ علي وقتلوه واخذوا رأسه الى دمشق . فارسله محمد باشا الى القسطنطينية . وباد ذكر بني ابي زيدان بعد الشيخ علي الظاهر .

ولم يكن اقوى من الشيخ علي في زمانه ولا اكرم ولا افصح ولا اغنى نفس منه . وقيل انه كان لا يرضى ان يزوج بناته لئلا يدخلن تحت طاعة

الرجال. وقد رأينا واحدة منهن بعده تدور على اهل الهم سائلة عطيتهم وهي لا تفرق عن ادنى الفقراء. لكن نفسها لا تسمح بسؤال ادنياء الناس كغيرها.

واما اخوة الشيخ علي فكانت الدولة قد انعمت عليهم بعد وصولهم الى القسطنطينية. واقامت الشيخ عثمان وزيرًا على مدينة جدة: والشيخ احمد وزيرًا على مدينة في بر الروم. والشيخ صالح كان يشترك معها في تلك النعمة. وكلهم لم يسألوا عن حال من تخلف بعد ابيهم. وكانت اخواتهم على هذه الحالة الذميمة.

وبعد قتل الشيخ علي تغلب احمد باشا الجزار على بلادهم. ورتب عليها مطالب. واجرى فيها عوائد لم تكن قبل ذلك. وذلت تلك العشائر. واندرست عنها تلك الكرامة. فسبحان من بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

٥

وفي هذه السنة ارسل وزير طرابلس نائبه عثمان بك شديد. فكبس الامير حيدر ابن الامير ملحم الشهابي في اهدن الجوز من معاملة جبيل. وكان معه عسكر من طرابلس الشام. فحاصروه في القرية يومين: وبلغ ذلك المشايخ بني رعد في الضنية فاقبلوا برجالهم لاسعاف الامير حيدر. واجتمع ايضاً رجال من القرى المجاورة فكسروا عسكر طرابلس وقام ذلك العسكر الى اميون. وصار يتقوى من معاملة طرابلس وتلك القرى. ووصل الخبر الى الامير يوسف فجمع عسكرًا من بلاد الشوف وارسله الى اخيه الامير حيدر. واقبلوا جميعاً الى قرية اميون وكبسوا عسكر طرابلس. فظفروا به. وقتلوا اكثرهم.

وفي هذه السنة في شهر حزيران حدث مطر غزير وبرق ورعد ورياح عاصفة كما يكون في معظم الشتاء. ودام المطر يومين متلاحقاً حتى فاضت الانهر ودارت الطواحين. وفي هذه السنة حضر جراد إلى هذه البلاد. وكان كثيرًا جدًا. فعم السواحل والجبال. واضرّ بالناس مضرّة عظيمة.

الراهبة هندية

وفي هذه السنة تلاشت اخوية دير بكركي في كسروان. وكان باسم الراهبات ورئيستهم التي يقال لها الام هندية. وكانت امرأة حلبية قد حضرت

الى هناك . فدخلت في الرهبنة وتظاهرت بالقداسة . وصارت تجترح العجائب والمعجزات . وشاع لها ذكر عظيم . واعتقد بها كثير من الناس . ودامت على ذلك سنوات . حتى كشف الله سترها . فاذا بها ساحرة كذوب خادعة . فبادت تلك الاخوية . واخرجت هندية من الدير فاقامت في الزرق عند بني خضراء لانه كان لها منزلة عندهم ، وهم الى الآن يعتقدونها ، وكذا بني الجامساتي من المكان المذكور .

ومكثت هناك الى ان ماتت . ومن اراد ان يقف على تفصيل ذلك بالكفاية فعليه بكتابنا الآخر المختص بتواريخ الرهبنات .

الامير يوسف واخوته

وفي سنة ١١٩٢ (١٧٧٨) وقع الاختلاف بين الامير يوسف والمشايخ النكدية لانه قصر في استخلاص المسجونين منهم في صيدا . ودبروا على خلعه من الولاية واقامة اخويه الامير سيد احمد والامير افندي مكانه . واتفقوا معها ومع المشايخ بني جنبلاط . واخذوا في مقاومته . وانهاض مناصب البلاد ضده . فاشتدت الحركة . وتكاثرت احزابهم وبلغ الامير يوسف ذلك . وعلم انه لا يقدر على مقاومتهم . فترك دير القمر وتوجه الى غزير في كسروان . واتفق انه بعد مدة يسيرة توفي الشيخ علي جنبلاط . وحضر الامير يوسف الى مناحته . وبوجوده في تلك المناحة اظهر انه يريد ان يكون الحكم لاخويه . وتنزل عنه بارادته . وسلمها اياه . وارسل البعض من مشايخ البلاد الى احمد باشا الجزار في طلب الحلمة لها . فاجاب الجزار الى ذلك . وحضروا بالحلمة للامير سيد احمد والامير افندي . فحضرا باهلها الى الدير . وتسلما زمام الحكم . ووزعا الاموال السلطانية . وطاعتها الناس الا ان حكمها لم يطل . لان الامير يوسف اخذ يفند بعض الامراء والمشايخ . ويستميلهم اليه . فعرضوا الى الجزار في شأنه . وعلم بذلك الامير سيد احمد والامير افندي . فكتبا الى الجزار . وطلبا اسعافه على مقاومة اخيهما . فارسل لهما عسكرًا الى حرش بيروت . وحضر بنفسه الى مدينة بيروت . فحضر الامير سيد احمد الى مواجهته . فطيب قلبه . وارسل معه عسكرًا من رجال الدولة . وتوجه به الى جبيل لكي يرفع منها

اخاه الامير حيدر الذي كان متسلمها من اخيه الامير يوسف . وتوجه الامير افندي الى كسروان ليطرد اخاه الامير يوسف من عزير. فانتقل الامير يوسف من غزير الى بسكنتا . ووصل الامير سيد احمد الى جبيل وحاصرها . وضيّق على اخيه الامير حيدر . ودام الحصار مقدار شهر . وفي تلك المدة ارسل الامير يوسف الى الجزار . ودفع له مئة الف قرش على الولاية . فقبل منه ونكث عهده مع اخويه حسب عوائده . وقام من بيروت الى صيدا . ونهض الامير يوسف من بسكنتا الى بعقلين منتظرًا وصول الخلعة اليه . ولما بلغ ذلك الامير افندي اصرف العسكر الذي معه . وحضر الى المتن . والامير سيد احمد بعد ان كاد يفتح جبيل نهض حالًا وهرب من بين عسكر الدولة . وحضر الى المتن ايضاً . ورجع العسكر نحو بيروت . والذين كانوا في جبيل متضايقين من الحصار خرجوا وضبطوا كل ما وجدوه لعسكر الدولة . وكان قد قتل من عسكر الامير سيد احمد مقدار مئتي نفر من الدولة واهل البلاد . لانه في محاصرته لجبيل اتى لاخيه الامير حيدر عسكر من طرابلس مسعفاً له . فحدث بينه وبين عسكر الامير سيد احمد موقعة . وقتل رجال من الفريقين وانكسر عسكر طرابلس . وتمرد بعد ذلك الامير سيد احمد . وامل بالظفر . فلم ينجح له امل . وقد اقام هذا الامير جملة حركات ولم ينجح سعيه ولا في واحدة منها . ولما حضر الامير يوسف الى بعقلين جمعت المشايخ النكدية رجالها وقاومتهم ومنعتهم عن الدخول الى دير القمر . فاقام في بعقلين الى ان حضر اليه الشيخ حسين جنبلاط والشيخ عبد السلام عماد وبقية المناصب . وحضرت اليه الخلعة مع اسعد بك ابن طوقان . فرأى المشايخ النكدية انهم متعوبون. فارتحلوا من الدير . واقاموا في بعض قرى المناصف . وحضر الامير يوسف الى الدير بصولة عظيمة . وارسل اسعد بك ابن طوقان يتحول على المشايخ النكدية بالمئة الف غرش التي تعهد بها لاحمد باشا الجزار . فنزحوا من المناصف . ونزلوا على الشيخ ناصيف القصار في بلاد المتاولة وهرب الشيخ محمد القاضي الى حوران . واما الامير سيد احمد والامير افندي فتوسط امرهما المشايخ بنو جنبلاط . وتراموا على الامير يوسف واستعطفوا خاطره عليهما . ورجعا الى دير القمر . فانزلهما في دور المشايخ النكدية . وصرفهما في بعض ارزاقه التي كان قد ضبطها .

... والمشايخ الجنبلاطيّة

وفي ١١٩٣ (١٧٧٩) بعد ذلك عدة من الايام ارسل الشيخ كليب نكد فترامى على سعد الخوري الذي كان متسلماً تدبير امور الامير يوسف . ان يستعطف خاطره عليه وعلى بني عمه . وكان بينهما محبة قديمة . فاصلح سعد الخوري امره . فقطنوا في المناصف . وصار ذلك ضد ارادة المشايخ الجنبلاطية . فاخذوا في مضاجرة الامير يوسف . وكان الامير يوسف قد وزع مطلوباً على البلاد . فقاموا ضده . وهيجوا مشايخ العقل وبعض المناصب وجمهور العامة . وانهضوهم . فاجتمعوا في عين السمقانية . واتفق رأيهم ان يقوموا عليه ويخلعوه من الحكم . وتوجهوا بجمهور عظيم الى دير القمر . فالتقاهم بعض المشايخ الى الطريق . وتكلموا معهم بما يسكن هيجانهم . وضمنوا لهم رفع هذا الطلب عن البلاد فرجعوا من الطريق .

وفي سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) لما رأى المشايخ الجنبلاطية ان الحركة الاولى لم تتم على مرادهم فاخذوا في اقامة حركة اخرى . وعملوا على قتل الامير يوسف ونائبه سعد الخوري . وكان قد صفا خاطر الامير يوسف على المشايخ النكدية . وصاروا اصدقاء له . فتكلمت المشايخ الجنبلاطية سراً مع الامير سيد احمد والامير افندي انهم يقتلون الامير يوسف . وبعد ذلك يقتلون المشايخ النكدية وتطيب لهم الايام . وتكلموا مع الشيخ كليب نكد في شأن قتل الامير يوسف . فاظهر رضاه . ولكنه في الباطن لم يكن يرضى بذلك لعدم الثقة بالامير سيد احمد والامير افندي . لانهم كانوا في الحركة السابقة اكبر المسعفين لها . ولما نزحوا من البلاد تملما املاكها . وفجعا عن ودائعها . وكانا اكبر الاعداء له . واخيراً تقرر الرأي انهم يفقدون بحر الامير يوسف ويقتلون سعد الخوري . ولاجل التمكن من عهد الامير سيد احمد والامير افندي طلبوا منهما ان يحلفا لهما في البيعة التي يقال لها كنيسة التلة في دير القمر على ان لا يغدرا بهم واتفقوا على ذلك . وفي تاسع عشر كانون الاول ليلة الجمعة اجتمعوا في دار الامير افندي وعند نصف الليل توجهوا نحو الكنيسة ليحلفوا . وكان الشيخ كليب نكد سبق فاخبر الامير يوسف بذلك الاتفاق . ولما توجهوا تلك

نية في الكنيسة وصلى به بانفراد تسبرعه . وكان الامير يوسف مستحسناً قوله من المقاومة فارسله ليعسكر على الحويه ويحضر رؤساء الدروز . فمضوا واقاموا في طريق الكنيسة حتى مر بهم الدروز . فوثبوا على الامير الفندي واستاقوه لدى اخيه الامير يوسف فقام اليه وقتله في الحال . واما الامير سيد احمد فهرب ولم يقدروا على مسكه . ومضى ملتجئاً الى المشايخ بني جنبلاط وعند الصباح شاع الخبر في كل البلاد . واستبشعت ذلك الناس لعدم سبق العادة به . فأرسل الامير يوسف اعلاماً الى جميع مناصب البلاد يخبرهم بحقيقة الحال الا الامير بشير ان الامير قاسم لانه كان من عرض المشايخ بني جنبلاط . وكان مقيماً عندهم . ولما وصل الامير سيد احمد الى المختارة واعلم المشايخ الجنبلاطية بما كان . جمعوا رجالهم وكتبوا الى المشايخ بني عماد وغيرهم وعزموا على المسير الى دير القمر ليطاردوا الامير يوسف من هناك . وكان اكثر الناس لما سمعوا بقتل الامير يوسف لاخيه انكروا ذلك واستقبحوه . وكان الامير سيد احمد انفذ الكتابات الى جميع اهل البلاد يشنع هذا الفعل ويعتذر بان مراده كان الاتفاق والالفة مع المشايخ فقط لا مخرة اخيه . ولما رأى الامير يوسف ان البلاد قد قامت ضده خشي ونزل الى عكا . وعرض الى احمد باشا الجزار الامر الذي توقع . ولما بلغ الامير سيد احمد نزول اخيه الى عكا جمع رجال الجنبلاطية والعمادية وحضر بهم الى دير القمر . وكتب الى افراد المتن وبقية المناصب فحضروا جميعاً الى الدير . وعقدوا معه ديواناً واجروا عهوداً واقساماً بانهم لا يقبلون ولاية الامير يوسف . وعرضوا الى الجزار بذلك . وطلبوا منه الخلعة للامير سيد احمد . فلم يحفل الجزار بذلك لان اكثرهم كان قد كاتب الامير يوسف سراً بان الكتابة ضده كانت حياء من الامير سيد احمد . وذلك لعدم ثقتهم بالامير سيد احمد . لانه كان خائناً غداراً متقلباً لا يبقي على صاحب . والامير يوسف عرض تلك الكتابات على الجزار . فتمكن عنده . وانعم عليه . وجهز معه عسكراً عظيماً . وحضر الجزار بنفسه الى مدينة صيدا . وتوجه الامير يوسف بذلك العسكر الى قرية علمان في اطراف البلاد . وشاع خبره في البلاد فحضر اليه المشايخ بنو تاحوق وبنو عبد الملك واكثر اليزبكية . وكان حضورهم بوسيلة الشيخ عبد اللاه العماد .

الا انه بقي في دير القمر متظاهرًا انه من غرض الامير سيد احمد . وجمع الامير سيد احمد عسكرًا من البلاد واقام عليهم قائدًا ابن اخيه الامير قعدان. وتوجه الامير قعدان بالعسكر الى علمان . وكان ذلك في سادس شهر كانون الثاني . فالتقاه عسكر الامير يوسف . وانتشب بينهم القتال . وما لبثوا قليلًا حتى انكسر عسكر الامير سيد احمد وقتل منه جماعة . وقبضوا على جماعة . واحضروهم لدى الامير يوسف . فعفا عنهم . وامر باطلاقهم وقتل في ذلك اليوم الشيخ حمود العبد . وكان سيد قومه . وارسل الامير يوسف لنبي عمه الذين في دير القمر ان يرتحلوا حذرًا عليهم . ورأى الامير سيد احمد ان حزب اخيه كثير والوزير معه . فرحل مع المشايخ بني جنبلاط نحو وادي التيم . وارسلوا دفعوا الى محمد باشا العظم والي دمشق الشام دراهم لا اعلم مقدارها . وطلبوا منه ان يمدهم بارسال عسكر فأجابهم الى ذلك كما سيأتي .

وفي سنة ١١٩٥ (١٧٨٠) بعد توجه الامير سيد احمد والمشايخ الجنبلاطية الى وادي التيم حضر الامير يوسف الى الشوف . وتقدمت اليه مناصب البلاد. فنزل في المختارة . وامر بضبط كل ما بقي من اسباب المشايخ بني جنبلاط . وضبط املاكهم . وهدم منازلهم . وبلص كل من ينتسب اليهم . وطلب مصروف عسكر من امراء المتن . لانهم مالوا الى بني جنبلاط . وقبلوا ودايعهم وحريمهم . وارسل جانبًا من العسكر الى ساحل بيروت مع ابن عمه الامير حسن ابن الامير قاسم لقصاص الامراء المذكورين في املاكهم التي هناك . فتراموا على الشيخ عبد السلام العماد والشيخ كليب نكد . وتواسطا امرهم تحت ايراد خمسة وعشرين الف غرش وحضروا الى مواجهة الامير يوسف . وصفا خاطره عليهم . ورفع عنهم القصاص . واما الامير سيد احمد والمشايخ بني جنبلاط . فارسل لهم محمد باشا العظم خمسة خيال الى البقاع . وبلغ الامير يوسف ذلك . فارسل اليهم عسكرًا من البلاد ورجال الدولة ولما علم الامير سيد احمد بخروج عسكر اخيه ورأى عسكر دمشق لا يكفي لهذه المهمة . رأى انه لا يقدر على مقاومة اخيه . فراسله وطلب رضاه . فاجابه الى ذلك. وامره ان يرفع نفسه من بين بني جنبلاط . وسمح له ان يحضر الى المتن . فحضر واقام عند الامير اسماعيل قايدبيه في صليما. ورجعت المشايخ الجنبلاطية الى وادي

التيم ، وعسكر محمد باشا الى دمشق . وكان الامير بشير ابن الامير قاسم مع مشايخ بني جنبلاط . ومضى معهم الى وادي التيم . وهناك توسط امرهم الامير اسماعيل خال الامير يوسف و حدوضاه عنهم تحت ايراد مئة وثلاثين الف غرش . فدفعوها وعادوا الى اماكنهم . وارتفع الضبط عن املاكهم . وسمح للامير بشير ان يقيم في بتدين بالقرب من دير القمر . وللامير سيد احمد ان يقيم في الشويفات . وصرف الامير يوسف عسكر الدولة . واستقر في دير القمر وطاعته البلاد .

وفي هذه السنة في شهر ايار حدث مطر عظيم . ففاضت الانهر . وتجاوزت حدودها . وعظم جريان نهر الكلب في كسروان . فساق اخشاباً واشجاراً عظيمة . ولما وصلت الى الجسر صدمته فانهدم . وكان جسراً عظيماً من بناء القياصرة . وصارت الناس بعد ذلك تعبر النهر في القوارب .

وفي هذه السنة انجد للامير يوسف ولد وسماه الامير حسين .

وفيها حدثت زلزلة في الليلة الحادية عشرة من شهر كانون الثاني بعد المغرب بساعتين . وكان في القمر خمسة عشر يوماً . وكانت رياح في تلك الليلة .

وفيها وزع الامير يوسف مالاً مفروضاً على شجر التوت . كل ما يكفي منه اوقية من بزر القز غرشين ونصف . وسمي هذا المطلوب بزرية . وتذمرت الناس كثيراً من هذا الطلب .

وفيها وزع الامير يوسف ايضاً مالاً على الرجال كل بالغ منهم غرشاً واحداً وسمي هذا المطلوب شاشية . وارسل لجمع هذا المطلوب الامير مراد ابن الامير منصور الشهابي . فنهضت اهالي البلاد . وكاتب بعضهم بعضاً . وعملوا جمعية في ظهر الحسين . واتفقوا على انهم لا يدفعون هذا المطلوب . وكان الامير مراد في الشويفات . فتوجه منهم اناس ليطردوه . وقبل وصولهم علم بذلك فانصرف . وكانت هذه الحركة من عبد السلام العماد . فبلغه الامير يوسف بعشرة آلاف غرش . وحول عليه الامير بشير ابن الامير قاسم وابطل الطلب عن البلاد .

وفي هذه السنة كان احمد باشا الجزار قد جار على المتاولة الذين كانوا لم يزالوا مقيمين في بلاد بشارة . فضاقت صدورهم من شدة الظلم والاهانة .

فاجتمعوا في مشايخهم. واتفقوا على عصارة الجزار . وتصلبوا للمقاومة . فارسل اليهم عسكراً من السكبان والمغاربة . وجمعوا رجالهم . وصادموا عسكر الجزار . وانتشبت بينهم الحرب الى اواخر النهار . فانتصر عسكر الجزار . وقتل منهم مقتلة عظيمة . وقتل في ذلك النهار الشيخ ناصيف النصار . وكان عمود المتاولة وفارس اهل عصره . وقتل مقدار ثلث عسكر الجزار . وانهزمت المتاولة بعد ذلك . ونهب عسكر الجزار بلادهم وسبا نساءهم واطفالهم . وكانت تباع المرأة بقرشين والولد بقرش واحد . ومن ذلك الوقت رحل الذين سلموا منهم الى بلاد بعلبك . واحتموا عند الامراء بني الحرفوش .

وفي هذه السنة بآخر شهر نيسان حدث ثلج وبرد عظيم بقدر الجوز واتلف اشجاراً كثيرة » .

الشيخ غندور الخوري

وفي سنة ١١٩٨ (١٧٨٧) انجد للامير يوسف ولد وسماه الامير سعد الدين. وكان قد تعاطى تدبير امور الامير يوسف الشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري . واعلم ان جميع الحركات والاعمال التي كانت تقع من الامير يوسف كانت جميعها بتدبير الشيخ سعد الخوري وليس منها للامير يوسف سوى الاسم فقط . لان الامير يوسف لم يكن حاذقاً في تدبير الاعمال . وكان الشيخ سعد حكيماً بصيراً في الامور . وكان ولده الشيخ غندور شبيهاً به في حكمته ولكنه لا يشبهه في وداعته وقناعته . لانه كان متعظماً كثير الطمع . وكان قد دخل في باب الامير يوسف وتسلم جميع اموره لان اباه كان قد طعن في ايامه واحب الراحة .

الأمير اسماعيل

وكان حكم مرجعيون في يد الامير اسماعيل حاكم حاصبيا . وكان على مرجعيون ستة آلاف غرش يدفعها كل عام الى الوزير ويأخذ مداخيل مرجعيون ومحاصيلها اضعاف الاضعاف عن ذلك . فيكون معاشاً له وللامراء بني عمه في وادي التيم . لان معاش الامراء هناك من يد الحاكم منهم .

وارسل الشيخ غندور الخوري دفع الى الوزير خمسة وعشرين الف غرش على مرجعيون وتسلمها وتصرف بها . ورفع الامير يوسف يد خاله الامير اسماعيل عنها[1] . فضاق معاش الامير اسماعيل وعائلته . واضطر ان يخبر الى دير القمر متزامياً على الامير يوسف . وتوسل اليه ان يتركها له وهو يدفع الخمسة وعشرين الف غرش كل سنة ويقدم له خمسة آلاف غرش ايضا . فابى الشيخ غندور . ولم يقبل رجاءه . والح الامير اسماعيل على الامير يوسف حتى قيل انه قبّل قدميه ولم يسمح له بذلك .. خائباً وقد لعب به الحنق . فعمد على مقاومة الامير يوسف . وبعد رجوعه الى حاصبيا نزل الى عكا . ودفع لاحمد باشا الجزار ثلاثمئة الف غرش على حكم جبل الشوف . واتفق معه على ذلك الشيخ قاسم جنبلاط . فقبل الجزار بحث ان يكون معه واحد من امراء الجبل . فارسل الامير اسماعيل استدعى الامير سيد احمد اخا الامير يوسف وفي الحال حضر الى عكا في البحر . ودخل على الجزار . فقبله واكرمه والبسها خلعة الولاية . ولكي يكون له وجه الى خلع الامير يوسف اراد ان يجعل له سبباً . فارسل يطلب منه سلاح البلاد . مع علمه الاكيد ان الامير يوسف لا يقدر على ذلك . فاعتذر الامير يوسف ان ذلك لا يمكن . ولكنه يدفع اليه مئة وخمسين الف غرش يشتري بها سلاحاً . بحيث انه لا ينحرف خاطره عنه فلم يقبل الجزار بذلك . واصر على طلب السلاح . واعلم الامير يوسف مناصب البلاد بطلب الجزار . فانكروه . وعمدوا على عصاوته ومقاومته واستعدوا برأي واحد لقتاله . فاتت الاعلام الى الامير يوسف بقدوم العساكر عليه . فالقى النفير في البلاد . فاجتمعت اليه الرجال من كل جانب . وكان عسكر الجزار قد حضر مع الامير اسماعيل والامير سيد احمد . فالتقوا في اراضي جباع . وانتشب بينهم القتال . وجاهد عسكر الامير يوسف جهاداً عظيماً في تلك

---

١) فحدث في ذلك (الزمان) ان رجلاً يهودياً يقال له آصلان كان يتردد الى حاصبيا وقراها لاجل التجارة . وكان ذا ثروة وافرة . فقتله بعض غلمان الامير اسماعيل طمعاً في ماله . وقيل انه قتله باشارة من الامير المذكور . . . فاوصلوا خبره الى الجزار . . . فكتب الجزار الى الامير اسماعيل بان يرسل له قاتله وماله فتقاعد عن ذلك . . . فاصدر امراً الى الامير يوسف بان يتولى على مرجعيون . وكان الامير يوسف كثير الخوف من الجزار . ويجب الاكتساب من اهل الجوار . (تاريخ الامير حيدر) .

الواقعة فكانت النصرة له . وقتل من عساكر الجزار نحو مئة قتيل . وسهزم من سلم منه . ودخلوا الى القرية وحاصروا بها . وبلغ الجزار ذلك . فغضب على الامير يوسف واهل الجبل . وامر بمنع اهل الجبل عن الدخول الى بيروت وصيدا . وحجب عنهم القوت الذي كانوا يقتونه من المدن . وارسل عسكرًا لمحافظة بيروت . وامر باخذ سلاح النصارى الذين فيها . ودخل كل من خارج المدينة من اهلها الى داخل السور خوفًا من سطوة اهل الجبل . وكان قد نزل بعض انفار من الدروز الى ما حول المدينة . وصادفوا سبعة انفار من المسلمين فقتلوهم . ووقع الرعب في قلوب اهالي بيروت . وامتنعت اهالي الجبل . فاستاقت مواشي كثيرة من نواحي المدينة . وكان مخزن قمح في الخضر لاهالي بيروت . فضبطوه . واعتز الامير يوسف بسطوة رجاله . واكرم وانعم . وصارت البلاد بقبضة واحدة في يده . وفي غضون ذلك صدر امر ثان الجزار الى بيروت ومعه نحو اربعة آلاف نفر . فخشيت الناس من حضوره . ورحلت اهالي ساحل البحر من مواطنها . واخذ الامير اسماعيل والامير سيد احمد في مراسلة مناصب البلاد واستمالتهم اليها . فمال اكثرهم . وكان الشيخ محمد القاضي قبل ذلك نازحًا الى حوران . فلما علم بقيام الامير اسماعيل والامير سيد احمد حضر الى عكا . وكان عمدة في البلاد . فاخذ يكاتب ويفند ويرغب الناس فاختلفت الاحزاب وظهرت الاغراض . ومال الامر على الامير يوسف . فاحتاج الى الرحيل ونزح من دير القمر الى بسكنتا . واقام هناك ينتظر ما يكون . واقبل الامير اسماعيل والامير سيد احمد الى الدير . وحضر اليها الشيخ عبد السلام العماد والشيخ كليب نكد والمشايخ الجنبلاطية واكثر مناصب البلاد . ولم يتبع الامير يوسف سوى اثنين من بني عمه والبعض من بني تلحوق . ولما رأى الامير يوسف فراغ يده من البلاد . وان الذين كان يتخذهم خاصة له قد خانوا عليه ، قام من بسكنتا وتوجه نحو بلاد جبيل . وكان ذلك في آخر شهر حزيران . وسعى الامير اسماعيل والامير سيد احمد في طلبه . فتوجه الامير اسماعيل نحو كسروان . والامير سيد احمد نحو جبيل ومعه عسكر من قبل الجزار . وكان الامير حيدر اخو الامير يوسف في جبيل فنزح منها . وكتب الجزار الى مقدم طرابلس ان يسلم حكم بلاد جبيل الى الامير سيد احمد . فلم يجبه . وبقي

الامير اسماعيل في بسكنتا والامير سيد احمد في جبيل . وكان الامير يوسف لما وصل الامير سيد احمد الى جبيل ، تقدم من هناك حتى وصل الى اقصى بلاد عكار . فاستقبله عثمان بك الشديد ومحمد بك الاسعد . وقدما له الذخائر والاكرام . ثم انتقل الى بلاد صافيتا . فاستقبله الشيخ سفر المحفوظ بكل اكرام . وانزله احسن منزل .

واجتمع الامير اسماعيل والامير سيد احمد في غزير وارسلا المباشرين في جباية الاموال السلطانية من بلاد جبيل بغير اذن والي طرابلس . وفرضا على كسروان مئتين وخمسين الف غرش . وجمعوا من البلاد اموالاً كثيرة وضجت الناس من كثرة المظالم . وتواردت الشكايات عليهما الى احمد باشا الجزار . وكتب محمد بك الاسعد الى الامير يوسف ان اخصامه قد رجعوا عن طلبهم . فقام الامير يوسف ورجع الى جبيل . وكان ابنه الامير حسين مقيماً في صليما . فطلبه اليه . وارسله الى بيروت يترامى على الوزير في استعطاف خاطره . وارسل معه هدية يبلغ ثمنها خمسة وعشرين الف غرش . وكان صبياً فعلمته اصحابه كيف يتقدم الى الجزار . وماذا يقول . فقبله الجزار وانعم عليه بالرضى وامره ان يستدعي اباه لينعم عليه ويعيده الى ولايته . وكان يضمر ان يقبض عليه اذا حضر . وكان الامير يوسف قد حضر الى انطلياس . وتعهد للجزار بايراد الف الف غرش تحت الاعادة الى الحكم . ولكنه خشي من مواجهة الجزار . فابى عن الحضور اليه . واعتذر فلم يقبل الجزار عذره . وعلم انه خالف من لقائه . فضمن له المتسلم وخائيل الكروج ويونس نقولا وفارس الدهان وشجعوه على الحضور . فحضر وواجه الجزار . وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الاول . وفي ذلك اليوم عينه قبض عليه الجزار وعلى نائبه سعد الخوري . وسافر بهما في البحر الى عكا . وكان ذلك مأتماً عظيماً على الناس لما يعلمون من ظلم الامير اسماعيل والامير سيد احمد مع اشتغال قلبهما بالامير يوسف قبلاً : فكيف اذا خلت لهما البلاد ؟

وبعد توجه الامير يوسف مع الوزير الى عكا ، نهض الامير اسماعيل والامير سيد احمد الى دير القمر . وانتشرت الحوالات في جميع البلاد على الامراء والمشايخ والرهبان والرعايا . واخذت الناس تتقاطر اليهما تهنئة بالحكم الجديد . وهم يدعون لهما باللسان وعليهما بالقلب .

وعاد الامير يوسف فنزل وعسكر مع الجزار الى عكا . واقام هو نصف شهر . فانعم عليه الجزار . والبسه على حكم الجبل ومرجعيون وحاصبيا وجهز معه عسكرا وارسله الى البلاد . فخرج يضرب الارض ليلاً ونهاراً حتى وصل الى دير القمر . وكان وصوله في الليلة الثانية والعشرين من تشرين الاول . وعند دخوله قبض على الامير اسماعيل ووضعه في السجن . وضبط كل ما كان جمعه من الاموال . وهرب الامير سيد احمد فلم يظفر به . وكان عندهما الشيخ محمد القاضي . فهرب ايضاً الى دار الشيخ كليب نكد . فارسل وقبض عليه . وابقاه في السجن مدة . وعذبه عذاباً اليماً . ثم قطع لسانه .

وفي سنة ١١٩٩ (١٧٨٤) كان احمد باشا الجزار قد جمع كثيراً من الاموال . فارضى خاطر الدولة . وطلب ولاية دمشق الشام . فانعمت عليه بها . فتولاها . ووضع بها متسلماً من قبله . واقام ايضاً في بعلبك متسلماً يقال له سليم آغا . ونزحت الامراء بنو الحرفوش من تلك الديار . وعدل سليم آغا في حكمه . وعمرت البلاد في ايامه . لان بني الحرفوش كانوا اظلم الناس واشدهم جوراً .

وفي تلك الايام كان فارس الدهان نازحاً عن بيروت منذ عشر سنوات . فرجع اليها . وارسل دفع الى الجزار خدمة قيمتها اربعة آلاف غرش . وطلب تسليم ديوان بيروت . وكان الديوان منذ سنتين في يد يونس نقولا الجبيلي الذي كان يقال له ابو عسكر . فرفع الجزار يد يونس عن الديوان . وسلمه الى فارس .

وفي هذه السنة حدث طاعون في بيروت فمات كثيراً من الناس . وهرب اكثر النصارى الى الجبل . وكان منشأ هذا الطاعون من مصر . وكان قد فعل في مصر ما لم يفعله غيره من الاوبئة السابقة . وقيل انه مات بمصر من الناس في هذا الطاعون ما يفوق عن ثلاثين كرة وبقيت اسواق مصر على حالها من الزحام[1] .

---

١) قال رفائيل كرامة : « وقد صار طاعون قوي زائد الوصف في مصر مات فيه ثلاثون كرة نحت الضبط وامتد الى غير جهات » .

واكد الامير حيدر ان الضحايا « كانوا خمسة آلاف كل يوم » .

على ان المنير عاد فاصلح في تاريخه المطول (نسخة بكركي) فقال : ثلاثون الفاً بدل ثلاثون كرة .

موت الشيخ سعد الغندور

وفي سنة ١٢٠٠ (١٧٨٥) . قد ذكرنا ان الامير يوسف انعم عليه الجزار بالولاية . وكان قد ابقى عنده الشيخ سعد الخوري رهناً على المال الذي تعهد الامير يوسف به . ولما توجه الجزار الى دمشق لاجل تمشية الحج ، اخذه معه . وابقاه هناك تحت الترسيم . فاستحوذ عليه مرض الاستسقاء . ولما رأى نفسه قد وقع في الخطر طلب الانصراف . وارسل الى ابنه الشيخ غندور ان يضمن المال عنه للجزار عن يد قنصل عكا وقنصل صيدا . وكتب اليهما بذلك . فقبلا ان يضمناه تحت رهن يكون عندهما . فارسل اليهما الشيخ غندور ما يقوم بذلك من اسلحة وحلى وغير ذلك . واطلق الجزار الشيخ سعد بضمان القناصل . ولاقاه كثير من اهل البلاد الى الطريق . وصار لقدومه فرح عظيم في البلاد لانه كان يسعى دائماً في خير الجمهور . وكان محبًّا للجميع . وبعد وصوله بايام توفي وكان ذلك في خامس عشر شهر آذار في مدينة جبيل . وكان قبل وفاته تسلم مكانه عند الامير يوسف والده الشيخ غندور ، كما مر . وزاد على ذلك من اخذ قنصلية بيروت من الدولة الفرنساوية وصار له مقام عظيم في جميع هذه الاطراف .

وفي هذه السنة قبض احمد باشا الجزار على ابي عسكر يونس نقولا في بيروت . واخذ منه خمسين الف غرش من غير ذنب ولا سبب .

وفي سنة ١٢٠١ـ (١٧٨٦) قبض الجزار على فارس الدهان ايضاً . وكان قد سلمه ديوان بيروت كما مر . وطلب منه مئة وخمسين الف غرش . وقبض معه على اخيه منصور وابن اخيه ميخائيل . وبعد الشفاعات الكثيرة ترك له خمسين الف غرش واخذ منه مئة الف . وقبض ايضاً على يوسف بارد واخذ منه سبعة آلاف وخمسة غرش . وذلك لانه كان ملتصقاً بفارس الدهان .

وقبض على ميخائيل الكروج في عكا . وكان متسلماً ديوانه . وطلب منه مالاً جزيل المقدار . وذلك لانه كان قد وقع في يده كتاب باسم ميخائيل المذكور يدل على وديعة له عند احد اصدقائه وشركة في تجارة . فطلب منه ان يقرضه شيئاً من المال . فاعتذر وحلف برأس الجزار انه لا يملك مالاً فاراه

ذلك الكتاب واسر خسرو

وفي هذه السنة انجد للامير يوسف ولد وسماه الامير سليم .

وفيها كان الامير يوسف لم يزل يترقب الفرصة على اخيه الامير سيد احمد الذي هرب حينما قبض الامير يوسف على الامير اسماعيل . وكان الامير سيد احمد قد اخذ في الوسائل والوسائط . حتى عفا عنه اخوه ورجع الى البلاد واقام في الجرد . ولكنه لم يزل على حذر من الغدر . حتى طالت الايام ورأى ان اخاه قد غفل عنه . فخرج الى الرمثانية يصطاد بها . وهناك ارسل الامير يوسف قبض عليه وقلع عينيه .

واما الامير اسماعيل فمكث في سجن الامير يوسف اشهرًا وتوفي به . فكتم الامير يوسف وفاته خوفاً من الجزار الى ان طال المطال وتناسى الامر .

وفي هذه السنة حدث في تشرين الثاني مطر عظيم . فهدم ابنية كثيرة . واخذ غراساً ومواشي لا تحصى واثني عشر نفرًا من الناس .

وفيها حضر الى صيدا قنصل من قبل الدولة المسكوبية وقنصل من قبل الدولة النمساوية وكان مرادهما الاقامة في دمشق الشام . ونمى خبرهما الى دمشق . فأرسلت اعيان البلد تقول لهما : ان دمشق هي باب الكعبة . لا يقبلون فيها قناصل . فرجع كل واحد منهما الى حيث اتى .